**المحاضرة الثالثة: العوامل المؤثرة في عمارة القصور الصحراوية**

**أ- الأثر البيئي:**

يؤثر المناخ على شكل العمارة بوضوح فعلى سبيل المثال تقل نسبة مساحة الفتحات كل ما اقتربنا من خط الاستواء، كما نلاحظ هذا الأمر في الجزائر خلال سيرنا من الشمال إلى الجنوب كما يمكن أن نجد بعض الحلول للعوامل المناخية من خلال بعض العناصر المعمارية التي لا نجدها في غيرها من المباني حيث يمكن أن نجد شرفات بارزة وبروزات سقفية تلقي ظلالا على طول الجدران ، كما تملأ الفتحات الكبيرة مشبكات خشبية أو رخامية لتخفيف وهج الشمس وتسمح لنسيم الهواء بالدخول.

هذه الأشكال المعمارية أضفت نوعا من الخصوصية على العمارة الصحراوية والمناطق الحارة عموما

هناك أمر ثاني يتعلق بمعدل التساقط ومعدل ميلان منسوب السقف فكلما توجهنا إلى الجنوب أين يقل معدل التساقط ينقص معدل الميل إلى أن تصبح شبه مستوية بحيث توفر أماكن للراحة والنوم.

**ب- العامل الاقتصادي:**

كان للعامل الاقتصادي الأثر البالغ في تحديد شكل العمارة فكان الرخاء والفقر ثنائية كثيرا ما أثرت على شكل العمارة من حيث الحجم والمستوى الفني وقيمته، كما كان لنظام توزيع الثروة على الأمة هو الآخر الأثر الواضح

ولكون الصحراء مساحة كانت خارج اهتمامات الدولة والخلافات الإسلامية أثر ذلك كثيرا بما انعكس على بساطتها وقلة أو بالأحرى ندرة فنونها فيما لو استثنينا زخارف مدينة سدراتة

ورغم أن قصور الصحراء كانت محطات للتجارة بين شمال إفريقيا والسودان لم يتجه اهتمام أهلها إلى البناء والتبحر فيه كما أنهم لم يستفيدوا بشكل كبير من هذه التجارة واكتفوا فقط بتبادل السلع وتزويد القوافل بما تحتاج

**ت- العامل الاجتماعي:**

والذي من أوجهه العرف وكما نسميه بالتقاليد التي شاعت بين أفراد المجتمع والتي من بين مفاهيمها الحشمة والنخوة والغيرة على العرض وحب الخصوصية وغيرها من المفاهيم التي توارثتها شعوب المنطقة جيلا بعد جيل، وقد ترجمت هذه المفاهيم على شكل المعمار من خلال النوافذ القليلة والعالية لتبتعد عن عيون المارة خاصة الركبان على ظهور الجمال وكذا الممر المنكسر كما كان لطبيعة التركيبة الأسرية التأثير المباشر على شكل وحجم المباني إلى جانب الطبيعة القبلية لهذه المجتمعا.

**ث- العامل الديني:**

كان للعامل الديني الأثر البالغ في تحديد شكل العمارة بالعالم الإسلامي عموما وبالصحراء على وجه الخصوص، فقد كانت محل اهتمام فقهاء الدين في تناولهم لقضايا البنيان، وقد اعتمدوا على الآية قال تعالى: "**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**" الأعراف آية199، حيث يفسرون العرف في هذه الآية بما جرى عليه الناس وارتضوه، ولم يعترضوا عليه طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم والحديث الشريف

والعرف ثلاث معان:

- بالنسبة للبيئة العمرانية كعادة أهل بلدة ما وقد أخذ به الفقهاء في المواضع التي لا نص فيها حديث عبد الله بن مسعود: "**ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"**

- المعنى الثاني وهو أكثر تأثير خاصة على المساكن هو إقرار الشريعة لما هو متعارف عليه بين الجيران لتحديد الأملاك والحقوق

- أما المعنى الثالث للعرف فهو الأنماط البنائية وهو أكثر الأنواع تأثيرا من غيره في البيئة العمرانية فحين يتصرف الناس في البناء بطريقة متشابهة نقول أن هناك عرفا بنائيا أو نمطا ما

أما الحديث النبوي الشريف الذي يعتمد عليه الفقهاء في أحكام البني فهو : **لا ضرر ولا ضرار** (رواه أحمد وبن ماجه)، والذي يعتبر أحد خمسة أحاديث يقوم عليها الفقه، وقد قامت على هذا الحديث أحكام عديدة لا حصر لها وأثرت على حركة العمارة خاصة في صحراء الجزائر وهنا نشير إلى أهم مصدر خص هذا الموضوع ونقصد به كتاب القسمة وأصول الأراضين، وهو يقع في ثمانية أجزاء، طبع بسلطنة عمان سنة 1414هـ/1992م، بتحقيق الدكتور محمد ناصر والشيخ بالحاج بكير باشعادل لصاحبه **أبو** العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي ويكنى "بأبي العباس" (ت: 504هـ/1111م) إمام وفقيه موسوعي، من أشهر علماء الإباضية في القرن الخامس الهجري، وهو أحمد بن محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي، نسبة إلى فرسطاء بجبل نفوسة في ليبيا، نشأ في أحضان أسرة مشتهرة بالعلم والعلماء. كان من أبرزها أبوه العالم محمد بن بكر بن أبي عبد الله، واضع نظام (حلقة العزابة) (ت: 440هـ).

**ج- مواد البناء:**

لقد أثرت مواد البناء في شكل العمارة الصحراوية أيما تأثير وكان أكبر تأثير يخص المساحة والشكل ناتج عن استعمال خشب النخيل هذه المادة التي لم يكن هناك من بديل عنها كعوارض ودعامات ونظرا لمحدودية مقاساتها فرض هذا الأمر شكل مستطيلا للقاعات أي أنها طويلة وضيقة أما في المساجد نجد بيوت الصلاة تكثر بها الأعمدة والدعامات نظرا لقصر هذه المادة

إلى جانب ذلك اقتصر استعمال الحجارة على تلك الخام دون اللجوء إلى الحجارة المصقولة مما أسفر عن جدران ذات أسطح غير متناسقة وغير مستوية وحتى في حالات استعمال الطوب ونظرا لعدم استعمال القالب نتج عن ذلك عدم التناسق هو الآخر وبحكم محدودية مقاومة هذه المادة انجر عن ذلك محدودية في حجم المباني التي لم يكن لها القدرة على مضاهاة تلك المباني الموجودة في الأقاليم الإسلامية الأخرى

**تخطيط القصور:**

الحديث عن تخطيط القصور يدعونا إلى الإشارة إلى عدة عناصر تحكمت في تحديد معالم هذه القصور ومن أهمها نذكر ما يلي :

* **ظروف نشأة القصر**: والمقصود هنا الجانب الأمني والنشاط العلمي والتجاري
* **الإثنيات المشكلة لسكان القصر**: العرب البربر اليهود العبيد ...
* **التنظيم الإجتماعي للقصر** : القبيلة الطائفة ...
* **البنية الجيولوجية للمنطقة**

**أنواع المساحات المشغولة:**

**الهضاب Collines :**

على سبيل المثال لدينا الهضبة الهرمية التي تأسس عليها قصر المنيعة El Goleaحيث تقع في الجهة الشرقية لبلدية المنيعة في ناحية لماضي حيث تبعد عن وسط المدينة بحوالي 01كلم وهي هضبة ذات شكل هرمي ناقص وقتها مستوية، كما يقدر ارتفاعها بحوالي 75م على سطح وادي امقيدن الذي يمر بمحاذاة القصر من الجهة الشرقية حيث تشرف على المسالك المؤدية إلى: شمالا وادي مزاب، جنوبا تيديكلت والهقار، شرقا إلى إقليم وادي ريغ وغربا إلى القورارة وتوات، وقد الوضع الأمني غير مستقر، حيث تشير الرواية إلى وجود صراع بين امرأة أسست القصر تدعى بنت الخس وحاكم المغرب آنذاك في حدود القرن 10.

**هضبة صخرية Colline rocheux :**

لدينا على سبيل المثال وادي مزاب الذي يقع في وادي هو الآخر يقع ضمن ما يعرف بالشبكة وهي مساحة صخرية شاسعة تتخللها وديان ما نتج عنه وجود مرتفعات صخرية كما هو الحال في قصر غرداية الذي أسس فوق هضبة صخرية على يسار الوادي الذي يتربع على مساحة 1.5كلم2.

**الأرض المنبسطة:**

كما هو الحال في مثال ذلك قرية نتلزضيت بواد مزاب أو تيميمون بمنطقة توات مثلما هو الحال في قصر تمارنة القديمة الذي تحيط به غابات النخيل، حيث يكون القصر على أرض منبسطة وفي الغالب تحيط به أشجار النخيل والبساتين

**ـ الانماط المعمارية في العمارية الصحراوية:**

الشكل: (عبارة عن تكتلات متراصة ومتلاحمة فيما بينها، ....)

 الوظيفة: (دينية، مدنية، عسكرية)

**ـ خصائص العمارة الصحراوية:**

الكثافة

 تعرج والتواء المسالك

 الانفتاح نحو الداخل..........................................

**2ـ الوسط الريفي: .............................................**